قصص
القرآن الكريم
(1)

إعداد

عبد العزيز سيد هاشم

ياسر علي نور

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ما أحلى القرآن الكريم ! وما أحسن قصصه ! قال الله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) [يوسف : ٣] .

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد فيه آيات كثيرة تتناول قصصاً متنوعة ومفيدة ، منها قصص الأمم السابقة مثل : قوم نوح ، وعاد ، وثمود ... وغيرهم ، ومنها قصص الأنبياء والرسل الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ومنها قصص لأناس ليسوا بأنبياء ، لكنهم آمنوا بالله ودعوا قومهم لعبادته ، ووقفوا مع الحق أمام الباطل .

وموضوعات قصص القرآن متعددة ، والمسلم العاقل الرشيد هو الذي يتعلم من القصص القرآني العبرة والعظة ، فيزداد إيمانه بالله سبحانه ، ويثق في أن الإسلام هو دين الله الذي يُصْلِح الله به الكون .

قلنبدأ أيها الأحبة بقراءة قصص القرآن الكريم ، كما تحكيها لنا آيات القرآن ، يقول الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف : ١١١] .

قصة آدم

قبل أن يخلق الله آدم من الطين ، وينفخ فيه الروح ، قال لملائكته : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ، فأرادت الملائكة أن تعرف الحكمة من ذلك فتساءلت : (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ؟ فقال تعالى للملائكة : (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) .

وبعد أن خلق الله تعالى آدم ، وعلَّمه أسماء كل شيء ، سأل الملائكة عن أسماء هذه الأشياء ، فلم تعرفها الملائكة ، وقالت : (سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ، فأمر الله آدم أن يخبرهم بأسماء تلك الأشياء ، فأخبرهم آدم بها ، فعرفت الملائكة مكانة هذا المخلوق الجديد

. وأمر الله الملائكة أن تسجد لآدم إكراماً له ، فسجدت له الملائكة ، وكان معهم إبليس ، فرفض السجود وتكبر ، وقال : (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) ، فطرده الله من رحمته .

ثم خلق الله حواء ؛ خلقها من ضِلَع آدم لتعيش معه وتؤنسه ، وأمرهما أن يدخلا الجنة ، ويأكلا من ثمارها ، ويشربا من أنهارها ، وأن يتمتعا بما فيها من نعيم . وأراد الله تعالى أن يمتحن آدم وحواء ، فأمرهما ألا يقتربا من شجرة واحدة في الجنة ، وألا يأكلا منها ، لكن الشيطان اللعين أراد لهما معصية الله كما فعل هو وامتنع عن السجود ، فأخذ يوسوس لهما ويزين لهما الأكل من الشجرة ، ويقول لهما : إن تلك الشجرة ستجعلكما تعيشان ولا تموتان أبداً ، وأقسم لهما بذلك ، وحلف كذباً وبهتاناً ، فاستجاب آدم وحواء للشيطان ، ونسيا تحذير الله لهما ، واقتربا من الشجرة ، وأكلا من ثمارها .

ولما أكلا من تلك الشجرة انكشفت عورتاهما ، فأخذا يغطيانها بورق الجنة ، وقد أحسَّا بالخجل والحياء من الله سبحانه ؛ لأنهما عصياه وأكلا من الشجرة ، فناداهما الله سبحانه ، وقال لهما : (أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) ؟ فاعترف آدم وحواء بذنبهما وخطئهما ، وتوجها إلى الله سبحانه يطلبان منه المغفرة والصفح والعفو عنهما ، وقالا في خضوع وتذلل : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

فقبل الله سبحانه اعتذارهما وتاب عليهما ، ثم أمرهما أن يهبطا إلى الأرض ويسكنا فيها ، ويأخذا حذرهما من الشيطان ؛ لأنه عدو لهما .

خرج آدم وحواء من الجنة ، وهبطا إلى الأرض ليواجها الحياة ومتاعبها . وبدأ آدم يمارس مهمته التي خلقه الله من أجلها ، وهي الخلافة في الأرض لعمارتها وعبادة الله تعالى .

وأنجب آدم وحواء ذرية كثيرة ، فكبر الأبناء ، وبدأ آدم يعلِّمهم أوامر الله ونواهيه ، ويحذرهم من الشيطان الرجيم .

قصة ابني آدم

ظل يفكر طويلاً ، لم تَذُقْ عيناه طعم النوم ؛ لأن الشيطان يوسوس إليه .. لماذا فضله الله عليك ؟ أنت أفضل منه . واشتعل قلبه بنار الحقد والغيرة ، فأصرَّ على أن يتخلص منه ويقتله .

إنه قابيل ابن آدم الأكبر ، الذي لم يقبل حكم الله حينما أشار أبوه آدم عليه وعلى أخيه بأن يُقَدِّم كل منهما قرباناً إلى الله ، فنزلت نار من السماء ، فأكلت قربان الابن الأصغر ، دلالة على قبول الله سبحانه لقربانه ، وتركت قربان الابن الأكبر ؛ فاشتد غيظه ، واشتعل قلبه بنار الغيرة والعداوة .

قال تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ) [المائدة : ٢٧] .

وانتهز الشيطان الفرصة ، فأخذ يزيِّن له فكرة التخلص من أخيه ، حتى توجه إليه وهدده قائلاً : لأقتلنَّك .

وكان أخوه هابيل قويًّا لكنه لم يقابل الإساءة بمثلها ، وإنما ردَّ عليه بقوله : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) .

لكن هذا الرد الجميل ، وهذا العفو والتسامح ، لم يؤثرا في أخيه بل ازداد حقده ، وأصر على ارتكاب تلك الجريمة البشعة . (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [المائدة : ٣٠] .

فلما قتل أخاه ندم ندماً شديداً ، وظل في حيرة ؛ فماذا يفعل بجثة أخيه ؟

رأى غراباً يحفر في الأرض حفرة صغيرة ، ثم دفن فيها جثة غراب ميت . عندئذٍ دفن قابيل أخاه وهو حزين على ما فعل .

وهكذا نجد أن الحقد والطمع جعلا ابن آدم يرتكب أول جريمة قتل في تاريخ البشرية . فالمؤمن لا يقاتل أخاه ظلماً وعدواناً ، ولا يرتكب الكبائر التي تغضب الله سبحانه ؛ لأنه يعلم أن الله أعد له خيراً من الدنيا وما فيها ، أعد له الجنة ونعيمها ، ومن يعترض على حكم الله وقضائه فإنه يضل ويشقى ، ويخسر في الدنيا والآخرة .

قصة سفينة نوح

تلبدت السماء بالغيوم ، وتساقط المطر الغزير كأنه سيل متدفق ، وانشقت الأرض ، وتفجر الماء من باطنها كفيضان كاسح لا يصده شيء ، واندفعت سيول الماء بسرعة مخيفة تجرف كل ما في

طريقها ، وتقتلع الأشجار والبيوت وكل شيء . وارتفعت الأصوات المذعورة تستغيث : النجدة .. النجدة .. الكل يحاول النجاة بنفسه ، لكن لا مفر من عذاب الله ! وما هي إلا ساعات قلائل حتى غطى الماء كل شيء ، فخمدت الأنفاس وسكنت صرخات الاستغاثة .

وقصة أولئك المعذبين ، ترجع إلى زمن بعيد ؛ حيث كان يعيش على أرضهم خمسة رجال صالحين ، هم : وَدٌّ ، وسُواع ، ويَغُوث ، ويَعُوق ، ونَسْر . وكان الناس يحبونهم حبًّا شديداً ، ويهتدون بهديهم . ولما مات أولئك الصالحون ، حزن الناس لفراقهم حزناً شديداً ، واقترح أحدهم أن يصنعوا لهم تماثيل تذكر الناس بهم ، فأعجبتهم الفكرة ونفَّذوها .

ومرت السنون ، ومات الأجداد والآباء ، وجاء جيل وراءه جيل ، ونسى الناس أن تلك التماثيل مجرد ذكرى للصالحين ، وأغواهم الشيطان ، فجعلهم يتقربون إليها تبركاً بأصحابها ، وشيئاً فشيئاً عبدوها ، وتركوا عبادة الله الواحد القهار .

عندئذ أرسل الله سبحانه إليهم نبيًّا منهم هو نوح عليه السلام ؛ ليخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ، وحذَّر نوح قومه ، فقال لهم : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

واستمر نوح يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة ليرجعوا عن كفرهم ، ويتركوا عبادة الأصنام ، ويعبدوا الله وحده لا يشركون به شيئاً .

أخذ نوح يقدم لهم الأدلة على صدق دعوته ، ويلفت أنظارهم إلى ما في الكون من دلائل قدرة الله ووحدانيته ، فيقول لهم : (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً ، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً) .

فاستجاب له عدد قليل من أصحاب العقول الراجحة ، وظل باقي قومه على ضلالهم وشركهم بالله ، وكذبوه وقالوا : (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ) . ودعوا الناس إلى التمسك بالشرك والضلال ، وقالوا : (لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) .

وصبر نوح ، واستمر يدعو قومه إلى الله ليلاً ونهاراً .. سرًّا وعلانية ، وكان يحببهم في طاعة الله ويرغبهم فيما عنده من الخير الوفير ، فقال لهم : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) .

فقالوا : (مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) ، وهددوه هو والذين آمنوا معه بالقتل فقالوا : (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) ، ولم يخشَ نوح والذين آمنوا معه من تهديدات الكافرين ، بل زادهم إيماناً . واستمر نوح يدعوهم تسعمائة وخمسين عاماً . وظل يحذرهم من عذاب الله ، فلم يؤمن به إلا جماعة قليلة ، أما أكثرهم فقد ضاقوا به وبدعوته ، وقالوا : (يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

فحزن نوح من جرأتهم على الله ، وتعجب من استعجالهم العذاب وظل يدعوهم ، حتى جاءه الوحي : (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .

ورضي نوح بقضاء الله وقدره ، وأيقن أن مشيئته نافذة ، فرفع يديه إلى السماء ، ودعا ربه قائلاً : (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً) ، فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه ، وأمره أن يصنع سفينة كبيرة ، ثم يجمع فيها من كل شيء زوجين اثنين : من الطيور والحيوانات ومن غيرها ، ثم يركب السفينة هو والذين آمنوا معه ، فاستجاب نوح لأمر ربه ، وبدأ هو والذين آمنوا معه يعملون في صنع السفينة . وكلما مرَّ عليهم الكافرون استهزءوا بهم وسخروا منهم ، وتعالت ضحكاتهم من أولئك الذين يصنعون سفينة على أرض ليس بها بحر ولا نهر .

فيجيبهم نوح : (إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) . ولما حانت ساعة العذاب ، وضع نوح في السفينة كل الأزواج التي جمعها ، ونادى أهله ومن آمن به ، وقال : (ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وصدر أمر الله إلى السماء والأرض أن تُخرجا ماءهما ، فنزلت الأمطار من السماء ، وتفجَّر الماء من الأرض . وارتفع الماء رويداً رويداً حتى تعالتْ أصوات المستغيثين .

وكان ابن نوح كافراً لم يؤمن بالله ، ولم يستجب لأبيه ، ورآه نوح يخوض في الماء مسرعاً ، يبحث عن شيء يحتمي به ، فناداه : (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) .

سمع الابن دعوة أبيه ، لكنه تمسك بكفره وشركه ، وقال : (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) ، وواصل ابتعاده ، فبين نوح لابنه العاق حقيقة ما لا يعلم ، فقال له : (لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) . وهاجت الأمواج العالية فأخذت ذلك الابن فأهلكته .

ودعا نوح ربَّه : (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) ، وجاءه الجواب سريعاً : (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) ، فرضي نوح بقضاء الله ، وقال معتذراً : (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

وهكذا تطهرت الأرض من المشركين والملحدين ، وصدر الأمر الإلهي إلى السماء والأرض : (يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي) ، وقل الماء تدريجيًّا حتى رَسَتِ السفينة على الأرض ، فقال الله سبحانه : (يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) .

وهكذا نجَّى الله نوحاً ومن معه من المؤمنين ، وأغرق الكافرين ، وهذا هو العدل الإلهي الذي لا يظلم أحداً ، فمصير الكافر إلى النار وإن كان ابناً لنبي ، والنجاة لا تكون إلا لكل مؤمن بالله .

فالإيمان هو الأساس الذي يضمن للمرء الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة .

قصة هود

أنعم الله تعالى على قوم عاد بنعم كثيرة ، ورزقهم بالأموال والأولاد والعلم والقوة ، إلا أنهم استعملوا نعم الله في معصيته ، فطغوا وكفروا ، وبطشوا واعتدوا وكانوا يقولون : من أشد منَّا قوة ؟ ونسوا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة .

وسكن قوم عاد في المباني العالية الحصينة ، وحسبوا أنهم يخلدون فيها ، متجاهلين أن كل بناء لا بد أن يزول .

وزاد فساد عقولهم ومعتقداتهم ، فأنكروا البعث والحساب ، وقالوا : (مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) . وزادوا فوق ذلك أنهم اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها ويتقربون إليها ، وهي لا تملك لهم ضرًّا ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة .

ولأن سنة الله في خلقه اقتضتْ ألا يعذب قوماً حتى يبعث إليهم رسولاً ، فقد اختار الله من قوم عاد واحداً منهم ، هو نبيه هود عليه السلام ، وأرسله إليهم بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله ، وإلى طريقه المستقيم .

فتوجه هود إلى قومه ، وقال لهم : (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) ، وذكَّرهم ببعض نعم الله عليهم ، ونصحهم ، ولكنهم كذبوه وقالوا له : (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) .

ولكن هوداً لهم قال لهم في سماحة : (يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) . وبين لهم أنه لا يريد منهم أجراً ولا مالاً ، وإنما يبغي هدايتهم وإخراجهم من الضلال إلى الإيمان ومن الظلام إلى النور ، فقالوا له : يا هود إنك لم تأتنا بمعجزة خارقة تصدق قولك ، ولن نترك عبادة آلهتنا بمجرد كلامك ودعوتك ، بل إننا لن نؤمن لك ، وما نظن إلا أنك مجنون .

وحاول هود مع قومه مرات عديدة ، وأخذ يذكِّرهم بنعم الله عليهم ، لكنهم أصروا على كفرهم ، وقالوا : لن نخالف آباءنا فإن كنت صادقاً فأْتنا بالعذاب والنكال ، فإنا لن نؤمن بك ولن نتبعك .

وقالوا : (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ، فأجابهم هود إجابة حاسمة ، وقال لهم : (قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) .

وبدأت مقدمات العقاب الإلهي حيث امتنع سقوط المطر ، فمات الزرع وجفَّت الأرض ، فأصابهم قحط ، وعاشوا في مجاعات وآلام لا يجدون لها حلاً .

وخرجوا يستغيثون ، ويطلبون نزول المطر ، فنظروا في السماء ، فرأوا سحابة سوداء ، فظنوا أنها قد أتتهم بالمطر فاطمأنوا ، وظنوا أن عذابهم سينتهي قريباً ، ولكن فرحتهم سرعان ما تبددت وذابت ، فلم تكن سحابة مطر ، وإنما كانت ريحاً ، قال تعالى : (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) [الأحقاف : ٢٤ – ٢٥] .

واستمرت ريح العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، فدمرت فيها كل شيء ، و لم تترك من المشركين أحداً ، (فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ) ، وكان هذا عقابهم في الدنيا ، (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ) . أما هود ومن معه من المؤمنين ، فقد نجاهم الله من ذلك العذاب ، فلم يصبهم ما أصاب الكافرين .

لقد استكبر قوم عاد وغرَّهم قوهم ، ونسوا أن الله سبحانه هو القوي وحده ، وكذبوا بآيات الله وبرسوله ، فأذاقهم الله سبحانه العذاب في الدنيا والآخرة .

قصة ناقة صالح

كان قوم ثمود يسكنون شبه الجزيرة العربية ، في منطقة خصيبة ، تكثر فيها البساتين وعيون الماء ، وتمتاز بالخضرة والجمال ، خيرها كثير ، ورزقها وفير . وكان أهل ثمود متفوقين في فن العمارة ، بارعين في البناء ، فأقاموا القصور الفخمة في السهول والجبال ، وعاشوا في أمن ورخاء ، لكنهم لم يشكروا الله على ما أنعم به عليهم ، وإنما كفروا واستكبروا في الأرض بغير الحق ، وعبدوا مع الله آلهة أخرى ، و لم يأخذوا درساً مما حدث للأمم السابقة .

وأرسل الله تعالى إليهم صالحاً عليه السلام لينذرهم عاقبة ما هم فيه ، فقال لهم : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) . وكلَّمهم صالح بلطف ولين ، وبين لهم أنه إنما يدعوهم إلى طاعة الإله الحق ، وأنه مستمر في دعوته ، فقال : (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ) .

فآمن بصالح بعض الناس من الفقراء ، وخاف الأغنياء ، فراحوا يبعدون الناس عن صالح وعن دعوته ، فكانوا يقولون لهم : (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ) ، فيجيبهم من آمن : (إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ) ، فيقولون لهم : (إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) .

وظل نبي الله صالح يقول لهم : (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ، وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) .

لكنهم لم يصدقوا ، بل عاندوا وابتعدوا عن طريق الحق والصلاح واتهموا نبي الله صالحاً بالكذب ، وقالوا : (أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ، أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) . واتهموه بالسحر ، فقالوا : (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) .

فصبر صالح على هذا الأذى ، واستمر في نصحهم ودعوتهم قائلاً : (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ) . ثم سألوه أن يأتيهم بمعجزة تشهد له على صدق ما يقول ، وتدل على أنه نبي ، فقالوا : (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ، فدعا صالح ربه أن يجيب القوم إلى طلبهم ، واستجاب الله دعاءه ، وأرسل المعجزة التي طلبوها ؛ فقد فوجئ القوم بناقة ضخمة ، لم يروا مثلها من قبل تخرج من صخور الجبل ؛ فخافوا وانقسموا على أنفسهم ؛ فمنهم من صدَّق وآمن ، ومنهم من كذَّب وكفر . فقال لهم صالح : (يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) .

ثم أخبرهم بأن الناقة ستقاسمهم الماء الذي في أرضهم ، فلها يوم تشرب فيه ، ولهم يوم . وكان هذا الأمر بوحي من الله ، وأكد عليهم ضرورة احترام ذلك الشرط حتى لا يتعرضوا لعقاب الله وعذابه إن هم خالفوا ما يأمرهم به ، كما حذرهم من أن يتعرضوا لها بسوء ، فقال لهم : (هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ، وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

وعاش الناس زمناً ، يتركون الماء للناقة يوماً ، مقابل ما ينتفعون من لبنها الكثير ، وفي اليوم التالي ، يشربون من الماء . ورغم تلك المعجزة ظل كثير من قوم صالح على عنادهم وكفرهم واستكبارهم ، فتجمعوا في قصر واحد منهم ، وأعلنوا رفضهم لوجود الناقة ؛ لأن وجودها قد جعل كثيراً من الناس يؤمنون بصالح ، ففكر الحاضرون ، واتفقوا على ضرورة الخلاص من الناقة ، ومن نبي الله صالح .

واختاروا تسعة رجال من كفار المدينة ، لينفذوا تلك المهمة ، فتجمع أولئك التسعة واختاروا من بينهم أشدهم كفراً وضلالة ، وأجرأهم على القتل وسفك الدماء ؛ لينفذ الأمر ، وزيَّن لهم الشيطان ذلك ، فقتلوا الناقة . وبذلك خالف قوم ثمود أمر ربهم ، وتحدوا الله سبحانه ونبيه . فقال لهم صالح : (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) .

فلم يهتم أولئك الكافرون ، وراحوا يدبرون لقتل صالح نفسه . وأوحى الله إلى نبيه أن يخرج بأهله والذين آمنوا معه ، تاركين أولئك المعذَّبين وراءهم . فخرج صالح وهو حزين على أولئك الذين

زيَّن لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن سبيل الحق ؛ فقال لهم صالح : (يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) .

وحانت لحظة العذاب الأليم . وفي صباح اليوم الموعود ، أرسل الله عليهم صيحة شديدة من السماء ، ورجفة شديدة من أسفلهم ؛ فأصبحوا في ديارهم جثثاً هامدة لا أرواح فيها ولا حركة ، قال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ) .

قصة إبراهيم وقومه

ولد إبراهيم عليه السلام في بابل بالعراق ، وكان الناس في ذلك الزمان يعبدون الكواكب والأصنام ، ولكن الله سبحانه عصم نبيه إبراهيم من ذلك ؛ فعلم منذ صغره أن هذه الأصنام والتماثيل حجارة وأخشاب لا تنفع ولا تضر وأن العبادة لا تكون إلا لله خالق السماوات والأرض .

وكان آزر والد إبراهيم يصنع هذه التماثيل والأصنام ، ويعبدها مثلما يفعل قومه فبعث الله إبراهيم إلى قومه ، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وينهاهم عما هم فيه من الكفر والضلال ، فتوجه إبراهيم إلى أبيه وخاطبه بالقول اللين والأدب الجميل ، ودعاه بالحسنى إلى عبادة الله وحده ، وقال له : (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ، يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً) . فم يقبل آزر كلام إبراهيم ، بل هدده وتوعده وأمره أن يهجره ويبتعد عنه قائلاً له : (أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً) ، فقابل إبراهيم تهديد والده بصدر رحب ونفس مطمئنة ، وقال له : (سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً) ، وترك إبراهيم أباه ، وانصرف وهو حزين لتمسك أبيه بالكفر وعدم إيمانه بالله .

وأراد إبراهيم أن يبين لقومه فساد الآلهة التي يعبدونها ، وأن يقنعهم بالعقل والحجة ، فذهب إلى الذين يعبدون الكواكب ، وانتظر حتى دخل الليل ، وظهر كوكب منير في السماء ، فأجابهم إلى قولهم ، وقال : (هَذَا رَبِّي) ، ثم انتظر حتى غاب هذا الكوكب وأَفَلَ وأظلم ، فأعلن لقومه أنه لا

يصلح أن يكون إلهاً ، وقال لهم : (لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) . وانتظر حتى طلع القمر وامتلأت السماء بضيائه ونوره ، فقال لقومه : (هَذَا رَبِّي) ، فلما غاب القمر ، واختفى نوره تَبَرَّأَ منه ، وقال لقومه : إنه ليس إلهاً . فلما طلعت الشمس مشرقة مضيئة ، وأرسلت الدفء والنور في كل مكان ، قال إبراهيم : (هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ) ، ولما غربت الشمس ، ووضح للناس أن هذه الكائنات كلها لا تصلح أن تكون إلهاً ، قال لقومه : (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

لكنهم لم يستجيبوا لدعوته ، بل ظلوا يجادلونه ، ويهددونه بأن آلهتهم ستصيبه بالأذى أو السوء ، فلم يستمع لكلامهم ، وتعجب منهم لأنهم يخافون من أشياء لا تضر ولا تنفع ، ولا يخافون من الله سبحانه .

قصة إبراهيم والأصنام

بيَّنَ إبراهيم لقومه أن عبادة الكواكب والنجوم ضلال وشرك ، ونصحهم بعدم عبادة الأصنام التي يصنعونها من الصخور والأخشاب ، وسألهم : (مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) ؟ فأخبروه أنها من صنع آبائهم وأجدادهم ، فقال لهم : (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) .

وسألهم إبراهيم : (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) ؟ وأكد لهم أنها لا تنفع ولا تضر ، فكيف يعبدونها ، والعبادة لا تكون إلا لله وحده : (بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) . وأقسم إبراهيم أنه سيحطم هذه الأصنام وانتظر حتى جاء يوم عيدهم الذي يحتفلون به خارج البلدة ، فذهب إلى أصنامهم ، فوجد قومه قد وضعوا أمامها الطعام والشراب ، فقال مستهزئاً : (أَلا تَأْكُلُونَ ، مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ) ؟!

ثم رفع إبراهيم الفأس التي في يده ، وكسر الأصنام عدا صنم كبير وضع عليه الفأس ؛ ليقول إذا سأله قومه : اسألوا كبيرهم ، فيعترفوا بأنها حجارة لا تتكلم ، وتُقَامُ عليهم الحجة .

ولما رجع القوم من عيدهم ، ودخلوا على أصنامهم وجدوها قد تكسرت ، فقالوا في دهشة : (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ، وتذكر القوم إبراهيم ، فقال بعضهم : (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) ، فأمروا بإحضاره .

حضر إبراهيم ، واجتمع عدد كبير من الناس ليسمعوا كلامه ويحاكموه ويعاقبوه . فقالوا له : (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) ؟ قال إبراهيم : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) ، فاحتار القوم وقالوا : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) ، وهكذا اعترفوا بأنها حجارة لا تنطق ولا تتكلم .

وهنا تعجب إبراهيم من قومه ، وقال لهم : (أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) ، وسكت القوم ولم يستطيعوا ردًّا ، ولكن الكبر أعماهم ، فلم يؤمنوا بالله ، ورأوا أن يتخلصوا من إبراهيم ، فقرروا أن يحرقوه ، فقالوا : (حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) ، فجمعوا حطباً كثيراً ووضعوه في مكان واسع ، وأشعلوا ناراً عظيمة ، ثم أمسكوا إبراهيم وألقوه في النار . وهو يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . فأمر الله سبحانه النار ألا تحرق إبراهيم وألا تؤذيه ، وأن تكون عليه برداً وسلاماً : (يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ) . ولم تحرق النار سوى الحبل الذي كان قيداً لإبراهيم . وبقي إبراهيم مدة في النار وهو في حفظ الله ورعايته، وخرج منها سليماً معافىً لم يصبه أذى أو سوء ، والناس في دهشة وحيرة ، ولسانهم يقول عن تلك المعجزة : نعم الرب ربك يا إبراهيم .

قصة إبراهيم والنمرود

سمع النمرود ملك بابل بدعوة إبراهيم عليه السلام وقصة نجاته من النار ، وكان النمرود حاكماً ظالماً ، يعيش في نعمة عظيمة ، ويخضع له الناس ، ويطيعون أوامره ، ومع ذلك فقد أنكر عبادة الله وحده لا شريك له ، وازداد كفراً وجهلاً وضلالاً ، فادَّعى أنه رب وإله .

واستدعى النمرود إبراهيم عليه السلام ليسأله عن الله سبحانه ، فقال إبراهيم : (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) .

فأخذت النمرود العزة بالإثم فجادل بالباطل ، وقال في كبر وجهل : (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) ؛ أستطيع أن أُحْضِرَ سجينيْن أو رجلين فآمر بقتل أحدهما وأعفو عن الآخر .

أحس إبراهيم بجهل النمرود وحماقته ، فقدم له في الحال برهاناً قويًّا يدل على قدرة الله وعظمته ، وأنه لا يشاركه فيها أحد ، قال إبراهيم : (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ

الْمَغْرِبِ) ، فسكت النمرود ، وأمسك عن الكلام ، وظهر كذبه وعجزه ، فتركه إبراهيم غارقاً في حيرة وذهول . (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

قصة إبراهيم والطير

تمنى إبراهيم أن يرى كيف يُحْيِي الله الموتى ، فتضرع إلى ربه قائلاً : (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) . فسأله الله – وهو أعلم بما في قلب إبراهيم ونفسه - : (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ) ؟ فسارع إبراهيم وبيَّن العلة من سؤاله ، وهي رغبته في اطمئنان قلبه بمشاهدته بعث الموتى ، فقال : (بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) .

واستجاب الله لرغبة إبراهيم ، وأمره أن يأخذ أربعة طيور ، ثم يذبحها ويقسمها أجزاء ، ويضع على كل جبل جزءاً منها ، قال تعالى : (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

أسرع إبراهيم بإحضار الطيور ، ثم ذبحهن وقطعهن قطعاً صغيرة ، وخلط اللحم بالريش ، وجعل على كل جبل منهن جزءاً . ثم نادى إبراهيم الطير ، فإذا بكل جزء يتحرك من مكانه ، وينضم إلى نظيره من أجزاء الطير الواحد ، ولم تلبث أجزاء كل طائر أن اجتمعت ، ثم عادت إليها الحياة من جديد ، وتوجهت الطيور مسرعة إلى إبراهيم مستجيبة له . وهنا غمرت السكينة قلب إبراهيم ، وعم الخضوع جوارحه ، وحنى وجهه للحي القيوم ، فكأنه يقول : حدث هذا لما دعوتهن ، فكيف لو كان الداعي هو الله العزيز الحكيم .

قصة إبراهيم وهاجر

ترك إبراهيم بلده ، وخرج هو وزوجته سارة وابن أخيه لوط إلى أرض الشام ، وكان إبراهيم في طريقه وسفره ينشر دعوته ، ويدعو الناس إلى عبادة الله وحده . ثم دخل مصر ، وأعطى ملك مصر لسارة جارية مصرية اسمها هاجر لتخدمها ، وكان إبراهيم قد صار شيخاً كبيراً ، وليس له أولاد من زوجته سارة ؛ لأنها لم تكن تنجب .. رغبت سارة في أن يتزوج إبراهيم من هاجر لعل الله يرزقه ولداً . فكلمته في ذلك ، وبالفعل تزوج إبراهيم هاجر ، فأنجبت له إسماعيل .

وأمر الله سبحانه إبراهيم أن يهاجر بابنه إسماعيل وزوجته هاجر إلى مكان آخر ، فأخذ إبراهيم زوجته هاجر وابنه الرضيع إسماعيل ، وظل يسير في صحراء الجزيرة العربية حتى وصل إلى مكة ، وكانت حينئذٍ صحراء موحشة لا أنيس فيها ولا جليس ولا زرع فيها ولا ماء .

ولما وصل إبراهيم إلى ذلك المكان ، ترك هاجر وإسماعيل وانصرف ، فقالت له هاجر : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ؟! فلم يَرُدَّ إبراهيم ، ففهمت هاجر أن ذلك أمر من الله ، فقالت له : هل أمرك الله بذلك ؟ فقال إبراهيم : نعم . فقالت هاجر بكل إيمان ويقين : إذن فلن يضيعنا الله .

ثم سار إبراهيم حتى اختفى عن الأبصار ، فرفع يديه إلى السماء يدعو ربه أن يحفظ زوجته هاجر وابنه إسماعيل ، وقال : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) .

وظلت هاجر في هذا المكان هي وابنها إسماعيل . وبعد فترة ، انتهى ما معها من طعام وشراب ، فأخذ الطفل الرضيع يبكي ويصرخ من الجوع والألم ، وأمه تبحث عن ماء ، وتصعد فوق جبلَي الصفا والمروة لتنظر هل من مغيث ، فلا تجد .

وظلت هاجر تفعل ذلك وتكرره وتنظر ؛ لعلها تجد أناساً يغيثونها ، ولكن دون جدوى ، حتى فعلت ذلك سبع مرات .

وبينما هي في حَيْرة وتعب وخوف على نفسها وابنها من الهلاك ، جاء فرج الله ورحمته ، فنبع بئر زمزم عند قدم طفلها إسماعيل ، فراحت الأم تغرف الماء بيدها ، وتشرب هي وطفلها ، وتشكر الله سبحانه .

وجاءت القوافل فوجدت الماء في هذه المنطقة ، فاستقرت بها ، وعاشت هاجر هي وابنها إسماعيل مع قبيلة جُرْهُم العربية ، وكان نبي الله إبراهيم يزورهما من حين لآخر ليطمئن عليهما .

قصة كبش إسماعيل

أحبَّ إبراهيم ابنه إسماعيل حبًّا شديداً ، وأحسن تربيته حتى كبر وبلغ السن التي يستطيع فيها أن يساعد أباه في العمل ، ويتعاون معه في طلب الرزق .

وأراد الله أن يختبر خليله إبراهيم ، فأوحى إليه في المنام أن يذبح ابنه .

واستيقظ إبراهيم من نومه حزيناً مهموماً ، لا يكاد يصدق ما رأى ؛ كيف ستطاوعه نفسه أن يفعل ذلك ، لكنه أمر الله الذي لا مفر منه ولا رادَّ له . إنه أمر شاقٌّ على نفس الأب ، وبالرغم من صعوبته تقبله إبراهيم بنفس راضية وقلب مطمئن لإيمانه القوي بربه ورغبته في رضا الله وطاعته .

وفكر إبرهيم .. ماذا سيفعل ؟ وكيف يخبر إسماعيل بهذا ؟ أيعرض عليه الأمر ويستشيره في الرؤيا ، أم يذبحه من غير مشورة ؟ وظل إبراهيم في حيرة إلى أن هداه الله للرأي الصواب ، فاستدعى ابنه إسماعيل ، وقال له بصوت حنون ممتلئ بالحب والرحمة : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) .

لم يهرب إسماعيل ، أو يرفض ذلك الأمر ، و لم يبك خوفاً وجبناً ؛ لأن أباه أحسن تربيته ، فقال لأبيه دون تردد : (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) .

فأخذ إبراهيم ولده إسماعيل ، وذهب به بعيداً إلى الصحراء ، وهناك .. جعل وجهه إلى الأرض حتى لا يراه فتأخذه الرأفة به أثناء الذبح ، فلا ينفذ أمر الله .

انتهز الشيطان تلك الفرصة ظنًّا منه أنه قد يؤثر على عاطفة الأبوة عند إبراهيم ، فأسرع يوسوس إليه : يا إبراهيم ، كيف تذبح ابنك وحيدك بيدك ؟! ألا يوجد في قلبك رحمة وشفقة ؟ اتركه يا إبراهيم .. لا تفعل . لكن إبراهيم لم يستمع لوسوسته . ثم هوى بالسكين إلى رقبة ابنه ليذبحه ، فإذا به يسمع صوتاً ينادي : (يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ، فنظر فإذا جبريل عليه السلام قد جاء ومعه كبش سمين ، قال تعالى : (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) . فأخذ إبراهيم الكبش ، فذبحه فداءً لابنه إسماعيل ، ونجح الوالد والابن في الاختبار الصعب .

وهكذا نجد في هذه القصة أروع الأمثلة على صدق الإيمان بالله ولزوم طاعته ، والتضحية من أجله بأغلى ما تمتلكه النفس . فالله سبحانه قد يختبر عباده الصالحين بأمور شاقة ، فإن صبروا ورضوا كان لهم الجزاء الكبير عند الله في جنة عرضها السماوات والأرض .

قصة بناء الكعبة

أمر الله سبحانه نبيه إبراهيم أن يبني له بيتاً ، ليطوف الناس حوله ويزوروه ، وأرشده إلى مكانه ، فاستجاب إبراهيم لأمر الله ، وسارع هو وابنه إسماعيل إلى بناء بيت الله .

كان إبراهيم يبني البيت ، وإسماعيل يساعده ، ويناوله الأحجار وما يحتاج إليه في البناء ، حتى أتمَّا بناء الكعبة .

ولما اكتمل البنيان توجها إلى الله سبحانه بالدعاء ، حتى يتقبل عملهما ، فقالا : (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

وبعد أن انتهى إبراهيم من بناء البيت الحرام نظَّفه وطهَّره ، ثم نادى في الناس أن يأتوا ويحجوا بيت الله سبحانه ، فاستجاب الناس لندائه ، وجاءوا من كل مكان يلبُّون ويطوفون بالكعبة .

قال الله تعالى : (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) .

قصة ضيف إبراهيم

جاءت مجموعة من الملائكة إلى نبي الله إبراهيم في صورة رجال ، فظن إبراهيم أنهم بشر ، وأنهم غرباء قد نزلوا ضيوفاً عليه ، فأسرع وذبح عجلاً سميناً ثم شواه وقدَّمه إليهم ، ودعاهم إلى الأكل ، فلم يقتربوا من الطعام .

ولما رأى إبراهيم أنهم لا يأكلون خاف منهم ؛ فأخبروه أنهم ملائكة جاءوا إلى قوم لوط ليعذبوهم عذاباً شديداً ، ثم بَشَّرُوا إبراهيم بأن زوجته سارة سوف تلد غلاماً عليماً هو إسحاق ، وسوف يكون له حفيد منه هو يعقوب .

سمعت سارة ذلك فتعجبتْ من الأمر واندهشتْ ؛ لأنها عقيم لا تلد ، وهي امرأة عجوز وزوجها كبير في السن ، ثم أقبلتْ سارة على الملائكة قائلة : (يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) ، فردت عليها الملائكة : (أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) .

وتركت الكلائكة إبراهيم ، وتوجَّهوا إلى قوم لوط لكي ينفِّذوا فيهم حكم الله ، فأذاقوهم العذاب المهين ؛ لأنهم أشركوا بالله ، وارتكبو الفواحش والآثام .

قصة لوط

كان قوم لوط يكفرون بالله سبحانه ، وكانوا يقطعون طريق النـــاس ، ويفعلـــون المعاصـــي والذنوب والفواحش ، بل إنهم فعلوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، فقد كانوا يتركـــون زوجاتهم من النساء ، ويأتون الرجال . فأمر الله سبحانه لوطاً أن يذهب إليهم ، ويـــدعوهم إلى الله . فودَّع لوط عمه إبراهيم عليه السلام ، وتركه ورحل إلى مدينة سدوم .

وحذرهم لوط من تلك الأفعال المنكرة والذنوب العظيمة ، ودعاهم إلى عبادة الله ، فقال لهم : (أَلا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّـــا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) . وبيَّن لهم فساد ما هم فيه ، فقال لهم : (أَتَأْتُونَ الـــذُّكْرَانَ مِـــنَ الْعَـــالَمِينَ ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) ، لكنهم لم يستجيبوا له ، واستمروا في ضلالهم ، وأرادوا أن يُخرجوا لوطاً من القرية ، بل إنهم تمادوا في ضلالهم ، فاستعجلوا العـــذاب ، وقالوا للوط : (ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

عندئذ ، توجه لوط إلى ربه ، وسأله أن ينصره على القوم المفسدين ، فاســـتجاب الله لـــه ، وأرسل إليه ملائكة شداداً ليعذبوا هؤلاء الكافرين . وفي الطريق إلى سدوم ، مرت الملائكـــة علـــى إبراهيم ، وأخبروه بما سيحدث لقوم لوط ، فقالوا له : (إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) . ووصلت الملائكة إلى قرية ســـدوم ، وكـــانوا في صورة شباب ، شكلهم جميل ، وهيئتهم نظيفة ، وكان لوط لا يعرفهم ، فحزن خوفاً علـــيهم مـــن قومه . وعلم قوم لوط بقدوم هؤلاء الشبان ، فاجتمعوا يريدون أن يفعلوا بهم الفاحشة ، فقال لهـــم لوط : (اتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) . لكنهم لم يستمعوا لكلامـــه ، وأصروا على طلبهم ؛ فحزن لوط حزناً شديداً ، وتمنَّى لو كانت له عشيرة وأهـــل ينصرونه عليهم ، فقال : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَـــى رُكْنٍ شَدِيدٍ) .

وهنا أخبره الشباب بأنهم ملائكة ، وقالوا له : (يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَـــصِلُوا إِلَيْـــكَ) . وتجمع قوم سدوم أمام البيت ، فخرجت الملائكة وضربوا بأجنحتهم على أعين القوم ، فـــأعمى الله أعينهم . وأمرت الملائكة لوطاً أن يغادر هو وأهله القرية قبل أن يحل العذاب الذي موعـــده طلـــوع الصبح . فخرج لوط وابنتاه من القرية مسرعين . ومع طلوع الفجر نزل أمر الله بتعذيب هؤلاء القوم ، فاقتلعت الملائكة قريتهم من الأرض ، وحملتها إلى السماء ثم قلبتها عليهم ، فكان عاليها ســـافلها ،

وأنزل الله عليهم حجارة متتابعة شديدة ، فأهلكتهم جميعاً . ونجَّى الله سبحانه لوطاً وابنتيه مما أصاب هؤلاء الظالمين .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد